نَحِيْبُ جَسَد ..

نجلاء شهاب – مصر

بخطًى مرتعشةٍ تعودُ "سما" لغرفتها، مُنْهَكة، لا تزال تحت تأثير جلسة الكيماوي، لمحت وجهَها بالمرآةِ وهي تسيرُ، لم تعد تلك الفتاةَ الجميلة التي كانت محطّ إعجاب الكثيرين، صارت شاحبةَ اللون لا ملامح لها، كسيدةٍ عجوز بعمر الثمانين!

تتنفّس بصعوبةٍ، تُلْقِي بجسدها النحيل على السرير وبذاكرتها آخر لقاء، "أحمد" يُلقي محاضرةً بالجامعة، تشاهده من بعيدٍ كي لا يلاحظ وجودَها، تدخل الممرضةُ تعلّق لها المحاليل، لم تجد أي عروق لتضع الكانة، بصعوبةٍ وضعتها، شاردة بفكرها: أعلمُ أنّني أموت، تمنّيت أن أراه للمرة الأخيرة، ليتني أستطيع أن أخبرَه بمدى حبّي له، ولكنني لا أريد أن يشفق عليّ، لقد تركت له الدبلةَ مع صديقتي لتخبره أنّ كلَّ شيء نصيبٌ!

أعلم أنّه يتألّم ولكن حين ينساني ويعلم بأمر موتي سيكون الألم أخفّ، بقيت أيام قليلة لي وأفارق الحياة، تدخُل والدتُها الغرفة تنظر لها بكل حبٍّ ودموعها محتبسة بعينيها، هيا يا "سما" سنعود للمنزل لقد أنهيتِ الجلسة، تستند على كتف أخيها بصعوبةٍ، بأذنها صوت "أحمد" وهو يغنّي لها، كانت تُحبُّ صوته كثيرًا، تمنَّتْ لو كان بجانبها الآن وهو من تتَّكئ عليه، ببطءٍ شديدٍ

تصعد درجات السلم، تتركُها والدتها لترتاح، سأعدّ لكِ بعض الطعام، تتّصل صديقتُها تطمئنُّ عليها، تردُّ بصوتٍ ضعيفٍ مرتعشٍ تسألها عن "أحمد"، تُخبرها: بخير، سآتي اليوم لزيارتك، تُمسك الموبيل لتشاهد صورهم معا ودموعها تنهار بصمت تحتضنه، تُفيق من النوم على صوت أمّها: "سما"، جاء ضيف لزيارتك، يدخل "أحمد" غرفتَها، يقترب منها، بعيون يملؤها الحب والحنين، لقد أخطأتِ هذه المرة، المرضُ من عند الله –سبحانه- لن أتخلى عنكِ، أمسكَ بيدها، يقول:

"رغم حزني وألمي ممّا فعلتِ إلا أنني ارتحتُ الآن"، تبتسمُ بمرارةٍ: "لا ترهق نفسك فأنا بتعداد الأموات، لا تستسلمي، قاومي لأجلي، أحبُّك"!

وبعد مرور ساعات، يغادر ويترك لها السعادة بين كفيها..كم هي ممتنةٌ له؛ لقد شعرت بالتحسّن، تتمنى لو يبقى الأيّام الأخيرة بجانبها، تدخلُ الأمّ غرفتَها، طلبك "أحمد" للزواج".

تنهارُ دموعُها وبحسرةٍ تبتسم: "أنا أموت"!

*"قال أنّه سيعود؛ استعدي!".

لا تصدّق ما تسمعه؛ هل جُن جنونه، اتفق مع أمها أن يقضي بقية أيامها بجوارها!

المساء، يرنّ جرس الباب..تسمع أصوات وهمهمات، جاء "أحمد" تعتدل، يجب أن يراني بشكلٍ أفضل..سأقوم وأرتدي الفستان الذي يُحبه، وأضع

قليلًا من المكياج لأعيدَ بعض الحياةِ لوجهي..تدخُلُ لها الأمّ: "ماذا، هل جاء "أحمد؟".

*"لا يا "سما" لن يأتي"!

*"لقد تخلّى عنّي، كنتُ أعلم أنه أمرٌ صعبٌ عليه، سامحيه يا أمي".

*"لن يأتي واعلمي أنه يحبّك .. لقد اختاره الله –سبحانه- ليكون بجواره، مات اليوم بعد أن غادر بحادث سيارة"!

تخورُ قواها، يحملها الأب والأم ليضعاها، لا أصدّق ما حدث، أتمنى أن أموتَ الآن لألحق به، تبكي طوال الليل، تذهب صباحًا مع أمِّها لعزائه، أمُّه انهارت بالبكاء ..تحتضن "سما" قد مات "أحمد" كان يحدّثني البارحةَ ويخبرني بأمر زواجكما وهو سعيد!

تبكي "سما" بحرقةٍ، والألم يعتصر قلبها، تمنَّتْ لو كانت هي من فارقت الحياة، تعود لمنزلها: "لم أعد أحتمل العيش، أتمنّى من الموت أن يأتي سريعًا بعد أن كنتُ أتمنى الشفاء؛ لا حاجة لي بالشفاء، أنتظره وبلهفةٍ ليجمعني الله –سبحانه- به بالجنة!